البيت والمدرسة

بقلم الأستاذ سليم فريد

ظل الناس حقبا من الدهر يبحثون فى التربية ، أصولها وطرائقها ، حتى أصبح للتربية نظريات مختلفة ، منها ما شرعته الأديان ، ومنها ما وضعته القوانين والنظم الاجتماعية ، ولذلك اختلفت الآراء ، وتضاربت الأفكار ، وأصبح لكل فئة من الناس طريقتهم الخاصة فى التربية ، بل أصبح لكل شعب ولكل دولة نظم وقوانين خاصة فى التربية .

غير أن الرقى العام الذى دفع بالمجتمع نحو العناية بالفرد والنهوض به وتوفير أسباب السعادة له ، وتقدم العلوم التى تتصل بالإنسان مباشرة كعلم النفس ، وعلم الحياة ، وعلم الاجتماع ، كل هذا دعا إلى التفكير العام — أو الدولى — فى وضع أسس ثابتة موحدة فى التربية ونظمها .

وليس هذا البحث بحثا فى التربية ، أصولها وأغراضها ونظرياتها ، بل هو بحث يكاد ينحصر فى تربية الطفل ، فقد كثر الكلام حول هذا الموضوع ، وتضاربت النظريات فيه ، فلعل هذا البحث يوصلنا إلى ما يبتغيه كل والد مصرى وكل والدة مصرية ، من تنشئة طفلهما نشأة طيبة ، ليكون رجلا نافعا لنفسه ولوطنه .

يولد الطفل مزودا بالقدرة على التعلم ، والاستعداد له ، وغرائز الطفل مرنة مرونة كبيرة يسهل تعديلها وتغيير المؤثرات التى تؤثر فيها ، وتوجيه الطفل توجيها صحيحا تحت إشراف العقل والذكاء .

ولدى الوالدين وقت طويل يمكنهما من تعليم طفلهما الشىء الكثير مما تعلماه وخبراه فى حياتهما ، وذلك فى لعبه ومرحه ، وفى هدوئه وحياته اليومية العادية ، وبقدر ما يبذل الوالدان من جهد فى تربية طفلهما وإتاحة الفرصة له ليكتسب خبرة ورقى ، يكون تقدمه فى الحياة وفى المجتمع .

وهنا يحسن أن نفرق بين لفظى التربية والتعليم ، فالتربية هى الجهود التى تبذل لرقية الطفل من الوجهتين النفسية والجسمانية ، والطفل فى تربيته يعمل ويفكر ، وهو تارة يخطئ وتارة يصيب ، ويستفيد من تجاربه فى الخطأ والصواب ، أما التعليم فهو مجموعة المعلومات التى يضعها المعلم فى ذهن التلميذ ليتسع عقله وينمو ، فالتلميذ إذن فى التربية موقفه إيجابى ، وفى التعليم سلبى ، وليس التعليم الصحيح هو الذى ينمى العقل ويزيده مادة وكفى ، بل التعليم الصحيح ما يثير فى نفس المتعلم الشوق إلى الاستزادة من العلم والاهتمام به ، فهو وسيلة من وسائل التربية العقلية .

ومن هذا يمكننا القول بأن التربية هى التأثير بجميع المؤثرات المختلفة التى تعين الطفل على الرقى جسمانيا وعقليا وخلقيا ، حتى يصل إلى أقصى مايستطيع الوصول اليه من الكمال ، ليسعد فى حياته الفردية والاجتماعية .

وكثير من الآباء — خصوصا الصناع والزراع منهم — يفهمون من أصول التربية إعداد طفلهم لكسب الرزق ، فهم ينفقون مالهم على أطفالهم بأمل كسب أكثر منها فى المستقبل ، وبذلك أصبحت أصول التربية عندهم نوعا من التجارة ، وهذا يؤدى إلى تعليم كثير من الأطفال مالا يلائم مواهبهم وميولهم الشخصية .

وإنى لا أستنكر من التربية أن تكون وسيلة من وسائل كسب العيش ، فإن إعداد الطفل لكى يعمل لكسب عيشه بنفسه أمر لا بد منه ، ولكنى أستنكر على بعض الآباء أن يكون هذا الغرض هو المثل الأعلى فى تربية طفلهم ، فرغم أن كسب العيش عامل مهم فى الحياة فلا يغيب عنا أن هذا ليس كل ما نحتاج إليه فى حياتنا الاجتماعية .

كذلك يرمى كثير من الآباء إلى العمل على حشو ذهن الطفل بالدروس والمعلومات لينجح فى الامتحان وكفى ، ولقد دلت التجارب على أن التعليم الخالى من إعداد الطفل للحياة العملية تعليم قاصر ، لايفيد الطفل بتاتا . وهناك من يقول إن التلميذ الأول فى الامتحان هو الأخير فى الحياة العملية ، وسواء صح هذا القول أو لم يصح ، فهو يرينا أن الجد فى الدرس واستيعاب كثير من العلوم لا يفيد بجانب الاستعداد للحياة .

وسنبين فيما يلى أهم ما يجب أن يتبينه الوالدان فى تربية طفلهما ، حتى يشب طفلا قويا من جميع الوجهات الخلقية والجسمانية والعقلية والعلمية .

١ — الميول والغرائز :

يمكن تغذية كل غريزة فى الطفل ، ذلك لأن غريزته وميوله يصحبها من القوة ما يدفع به إلى إرضائها ، ومتى بلغت الحد الذى يعظم فيه أثرها ، اشتدت تلك القوة التى تدفعه إلى إشباع ميوله مما يريد ، فإذا لم يتعهد الوالدان هذه الميول والغرائز بالغذاء الذى يؤدى بالطفل إلى طريق الخير والفلاح ، فإن الطفل يندفع متخيرا من الغذاء ما يصل به إلى غايته فتسوء العاقبة .

ويسهل تعهد الأطفال من هذه الناحية فى أوقات الفراغ ، وكلما سنحت الفرصة بأن أخطأ الطفل أمامنا مثلا ، نرشده إلى الصواب باللين لا بالشدة .

٢ — القوة الخلقية :

المقصود بها القوة التى تجعل المرء يضع كل شىء فى محله ، وهذه القوة تنميتها وتعهدها يعودان إلى المنزل والمدرسة معا . ذلك أن الطفل يعتقد أن ما يفعله والداه هو الصواب ، وأن ما يفعله المعلم فى المدرسة هو الصحيح . وعلى ذلك فان المنزل المنظم العالى الأخلاق ، والمدرسة المنظمة ذات المعلمين الأفاضل ، من أكبر الأسباب فى إيجاد الطفل القويم الأخلاق .

غير أنه يجب ملاحظة أن المعلم لا يؤثر فى الواقع مباشرة فى الطفل ، فالذى ينمى القوة الخلقية فيه هى الروح المدرسية ، وهى ليست نتيجة عمل المعلم وحده ، بل إن مجموعة التلاميذ والمعلمين ، ونظام المدرسة نفسه ، من أهم العوامل فى تربية تلك القوة فى الطفل.

٣ — العادات الحسنة :

تنشأ العادات الحسنة وتتكون حتى ترسخ فى النفس ، وتصبح طبيعة فى الإنسان ولذلك يجب الالتفات إلى هذه الحقيقة . وتعويد الأطفال العادات الحسنة منذ نشأتهم الأولى : فالنظافة والنظام الحسن ، والمحافظة على المواعيد ، والصدق ، والأمانة ، والصراحة فى القول ، والإخلاص فى العمل ؛ كلها عادات طيبة إذا تعهدها الوالدان فى الطفل وهو صغير ، شب عليها وهو كبير . وليس تعويد الطفل هذه العادات الطيبة : هو أن نخبرهم بفوائدها ، أو مضار أضدادها بل أن نعمل بها ، فلا نكون قذرين ولا فوضى فى نظامنا أمام الطفل ولا نكذب أمامه ، ولا نظهر أمامه بأى مظهر شائن .

بجانب هذا كله ، يجب أن يتعرف الوالدان أهمية (البيت) والمدرسة فى تربية الطفل وواجب كل منهما فى سبيل ذلك .

فالطفل يشب متشبعا بميول والديه ، متأثر بمشاربهم فى الحياة ، ويفهم أثناء حياته فى أسرته ما له من حقوق وما عليه من واجبات ، كما يكتسب كثيرا من الفضائل إذا أراد الوالدان ، ويتعلم كثيرا من النقائص إذا أهمل الوالدان تربيته وملاحظته .

وتأثير البيت فى الطفل قوى ، يظهر أثره فى شبابه ، فالبيت الشريف والبيت الوضيع ، كلاهما عظيم الأثر فى تكوين أبناء الأمة ، ولذلك يجب أن يعرف الوالدان أهمية هذا ، فلا يهملوا فى تأدية واجبهم ولا يتركوا العمل وحده على عاتق المدرسة ، فما المدرسة إلا عامل مهم لتربية البيت ولا يمكن الاستغناء بها عنه .

أما المدرسة فهى الأداة التى تعلم النشء ما يتعذر على الآباء القيام به ، وهى السبيل الذى بواسطته يفهم الطفل معنى الحكومة والقانون ، والحرية والحقوق والواجبات ، هى الطريق الموصل إلى الحياة العملية .

غير أنه يجب ألا يغرب عن البال أن المعلم أثره فى الطفل أقل من أثر الوالد ، ذلك لأن الطفل رأى والده قبل أن يرى المدرسة ، فهو قدوته الأولى ، ولذلك تراه يشكو قسوة معلمه إلى والده ، ولا يشكو قسوة هذا إلى ذاك .

وإذا كان للبيت أكبر الأثر فى تكوين عادات الطفل وتهذيب ميوله ، فإن المدرسة مجالها أوسع فى التهذيب والصقل ، لأنها مجمع الأطفال ، والأطفال يحاكون بعضهم بعضا وجتماعهم أدعى إلى التنافس ، وبعث النشاط فى نفوس الأطفال .

ومن هنا يجب أن نذكر أنه لكى يكون تأثير المدرسة والبيت معا فى الطفل تأثيرا حميدا، يجب التعاون بينهما على تربية الطفل ؛ و إليك واجبات المدرسة ثم واجبات البيت فى هذا التعاون :

(١) يجب أن يتعارف المدرسون بالآباء و يدعوهم إلى اجتماعات دورية وحفلات .

(٢) يجب إرشاد الآباء إلى الطرق الصحيحة فى تربية أبنائهم .

(٣) ترسل للآباء تقارير دورية مفصلة عن التلميذ وأعماله وأخلاقه .

(٤) لايكلف الآباء مصاريف كمالية للمدرسة .

(٥) تتعاون المدرسة مع البيت فى شغل وقت فراغ التلاميذ، فتربى فيهم حب المطالعة والرحلات والأسفار ، والرياضة الخ ...

(٦) تدرس مواهب الطفل وميوله لتوجيهه توجيها صحيحا فى حياته العملية .

أما الوالدان فواجبهم مراعاة :

(١) مساعدة المدرسة على النظام وتحبيبه الطفل وتعويده عليه .

(٢) عدم تشجيع الأطفال على إهمال واجباتهم المدرسية .

(٣) عدم محاربة المدرسة فى نشاطها الاجتماعى، كمنع الطفل من الاشتراك فى الألعاب الرياضية أو الحفلات أو الرحلات ...

(٤) عدم نقد المدرسة ومعلميها أمام الطفل ، حتى لايقل احترامه لهم .

(٥) العناية بصحة الطفل وتقوية جسمه والاهتمام بغذائه وغرفته ونظافته .

(٦) مساعدة المدرسة باستصحاب الطفل فى زيارات منوعة للحدائق والمنشآت العامة كالمتاحف ودور الكتب ، مع تفهيم الطفل — بقدر الإمكان — ماتحويه تلك الأمكنة .

من هذا تتضح لنا الصلة الوثيقة بين البيت والمدرسة ، وأن تعاونهما على تربية الطفل لازم لزوم الشمس والهواء للحياة ، وأن كلا منهما متمم لعمل الآخر، فاذا فسد أحدهما فسد عمل الثانى .

فمن المهم جدا أن يفهم الوالدان هذه الحقائق ، وأهم من هذا أن يعمل رجال التعليم على تقوية التعاون بينهم وبين الوالدين ، فان فى ذلك مصلحة الأبناء ، ومتى صلح الأبناء فى صغرهم ، نفعوا الوطن فى كبرهم ؛

سليم فريد